خطبة **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**

الخطيب/ مسير ماطر الظفيري

قال الله تعالى: **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** البلد(4).

فسرها العلماء بأن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها. ابن كثير بتصرف.

ومن أول مايكابد الإنسان في هذه الحياة أيها الأحباب الكرام هو استقبال عدوه اللدود له، ومحاولته أذيته منذ نعومة أظفاره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **كلُّ بني آدمَ يطعنُ الشيطانَ في جنبيهِ بإصبعِه حين يولدُ**(أي يَضرِبُه أو يَمَسُّه أو يَنخُسُه - فيَستهِلُّ صارخًا)، **غير عيسى ابنِ مريمَ، ذهب يطعن فطَعن في الحجابِ** ». رواه البخاري : 3286

فإنَّ الله تعالى عصَمَه وأُمَّهُ مِن نَخْسِ الشَّيطانِ عند الولادةِ؛ وذلك لدعوةِ امرأةِ عِمرانَ؛ إذ قالتْ: **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**آل عمران:36، فاستجاب اللهُ سبحانَه دَعوةَ امرأة عِمرانَ، فحفِظ مريمَ وابنَها عيسى عليهما السَّلامُ من نخسِ الشَّيطان، حيث حاوَل الشَّيطانُ أن يَنخُسَ عيسى عليه السَّلامُ حين ولادتِه، (**فطعَنَ في الحِجابِ**)، أي: الجِلدةِ التي فيها الجَنينُ، وتُسمَّى المشِيمَةَ.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| طُبعتْ على كدرٍ وأنت تريدهــــــــــــــــــا | \*\*\* | صفواً من الأقذاء والأكـــــــــــــــــــــدار |
| ومُكلّفُ الأيّام ضــد طباعـــهــــــــــــــــــــــا | \*\*\* | مُتطلبٌ في الماء جذوة نـــــــــــــــــــار |
| فاقضوا مآربكم عجالاً إنّــــمــــــــــــــــــــــا | \*\*\* | أعماركم سَفرٌ من الأسفـــــــــــــــــار |
| ليس الزمانُ وإن حرصتَ مُسالمـــــــــــــا | \*\*\* | خُلُقُ الزمان عداوة الأحــــــــــــــــرارِ |

علي التهامي

قال علماؤنا: أول ما يكابد – الإنسان - قطع سرته، ثم إذا قُمط قِماطا، وشُدَّ رِباطا، يُكابدُ الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلمَ وصولته، والمؤدبَ وسياسته، والأستاذَ وهيبته، ثم يكابد شُغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شُغل الأولاد، والخدمِ والأجناد، ثم يكابد شُغل الدور، وبناء القصور، ثم الكِبَرَ والهرم، وضَعْفَ الركبةِ والقدم، في مصائبَ يَكْثُرُ تَعْدادها، ونوائبَ يطولُ إيرادها، من صُداع الرأسِ، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن. ويُكابد محنا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يومٌ إلا يقاسي فيه شِدَّةٌ، ولا يكابد إلا مشقة. القرطبي

( ثم تفترق الطرق – أيها الأحباب الكرام -، وتتنوع المشاق هذا يكدح بعضلاته. وهذا يكدح بفكره. وهذا يكدح بروحه. وهذا يكدح للقمة العيش وخِرقةِ الكساء. وهذا يكدح ليجعلَ الألفَ ألفينِ وعشرة آلاف.. وهذا يكدح لملك أو جاه، وهذا يكدح في سبيل الله. وهذا يكدح لشهوة ونزوة. وهذا يكدح لعقيدة ودعوة. وهذا يكدح إلى النار. وهذا يكدح إلى الجنة.. والكل يحملُ حَملهُ ويَصعدُ الطريقَ كادحًا إلى ربه فيلقاه! وهناك يكون الكبدُ الأكبرُ للأشقياء. وتكون الراحة الكبرى للسعداء.

إنه الكبد طبيعة الحياة الدنيا. تختلف أشكاله وأسبابه. ولكنه هو الكبد في النهاية. فأخسر الخاسرين هو من يعاني كبد الحياة الدنيا لينتهي إلى الكبد الأشق الأَمَرِّ في الأُخرى-والعياذ بالله-. وأفلحُ الفالحين من يكدح في الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلاتٍ تُنهي عنه كبدَ الحياة، وتنتهي به إلى الراحة الكبرى في ظلال الله). تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله بتصرف.

إن التساؤلَ الذي يجب أن يَسألهُ كلٌ منا لنفسه أيها الأحباب الكرام، يدور حول هذه الحياةِ نفسها التي نتقاتل ونتصارع ونهدر الدماءَ ونُهلك الحرث والنسل لأجلها، وهي في الحقيقة كبدٌ في كبد، منذ اللحظة الاولى للحياة إلى يوم القرار النهائي يوم الدين، فهل تستحق الحياة كل هذا الصراع؟!

قال صلى الله عليه وسلم: « **لو كانتِ الدنيا تعدلُ عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ** » رواه الترمذي.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه.

**الخطبة الثانية:**

أحبتي في الله: يعتقد بعض الناس أن بالموت ينتهي الكبدُ والمشقةُ من حياة الإنسان، لكن الحقيقة هي أن مرحلةَ الكبدِ الدنيوي هي التي انتهت فقط، أما الكبدُ الأخروي قد بدأ بموت الإنسان، فإنه يُكابدُ سكراتِ الموت، ثم ما يلاقيه من (مُساءلةِ الملك، وضَغطة القبر، ثم البعثُ والعرضُ على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار قال الله تعالى: **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ** ، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد). القرطبي.

قال المناوي رحمه الله: من تحققت له المغفرة استراح، وذلك لا يكون إلا بعد فصل القضاء والأمر بدخول الجنة، فليس الموت مُريحا، لأن ما بعده غيب عنا. اهـ.فيض القدير.

وقد سئل الإمام أحمدرحمه الله: متى يجد العبدُ طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

وما دام الإنسان في مكابدة من أمره فليحرص كل منا على ما يبقى من أثر هذه المكابدة، يدخل أحدهم على أبي ذر -رضي الله عنه- وجعل يقلب بصره في بيت أبي ذر، ثم قال: يا أبا ذر، ما أرى في بيتك متاعاً ولا أثاثاً، فقال أبو ذر: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا، فقال: إنه لا بد لك من متاعٍ ما دمت هاهنا؟ فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وقال عبدالله بن الشخير رضي الله عنه: أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو يقرأُ: **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**، قال: « **يقولُ ابنُ آدمَ: مالي، مالي، قال: وهل لك، يا ابنَ آدمَ! من مالكَ إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدقتَ فأمضيتَ؟** ». رواه مسلم 2958.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أنهم ذَبَحُوا شاةً فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: « **ما بَقِيَ منها؟** » قلْتُ: ما بَقِيَ منها إلَّا كَتِفُها، قال: « **بَقِيَ كلُّها غيرُ كَتِفِها**». رواه الترمذي 2470.

فبين النبي صلى الله عليه وسلم لأمته بأن التعب والمشقة في الأمور إنما يبقى منها ماكان لله، أما ماكان لدنيا يصيبها المرءُ فهذا من المكابدة التي لن يستفيد منها في شيء، وإنما تنقضي بانقضاء هذه الدنيا.

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم:«**ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مَبْلَغَ علمِنا**»رواه الترمذي.